مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية ثقافية تصدر سنوياً

العدد الثانى

1985

- من قضايا الفكر والعقيدة
- مذاهب بلا إسلام
- معارف إسلامية
- مخطوطات ليبية
- دور الفكر الواقعى فى النهضة الإسلامية

آداب إسلامية

• الدكتور سعدون السويح •

لفظة « آداب » مفردها « أدب » وهو مصدر، والفعل منه « أدب » ومضارعه « يأدب » فهو « أديب » ومعنى الأدب « الظرف وحسن التناول »، ويقال « أدبه » « فتأدب » أى « علمه »، كما يقال للبعير إذا ريض وذلل « أديب مؤدب » .

والأدب هو الذى « يتأدب به الأديب من الناس » وقد سمي أدباً لأنه « يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح » وأصل « الأدب » « الدعاء » (أنظر لسان العرب ـ المجلد الأول ـ مادة أدب) . (١)

يتضح من المعانى التى يسوقها ابن منظور للفظة « أدب » أنها ارتبطت فى الأصل اللغوى بمعانى « الظرف » و « حسن التناول » و« الدعوة الى الخلق الحسن » . وقد تطورت معانى هذه اللفظة تطوراً كبيراً عبر العصور حتى استقرت على المدلول الذى نفهمه لها فى عصرنا ، فقد صار لها مفهومها الاصطلاحى المحدد وهو الدلالة اللغوية على الوان التعبير الابداعى الفنى المكتوبة من شعر ونثر .

وإن المتتبع لتطور استخدامات هذه اللفظة فى تراثنا العربى لايكاد يجد لها المفهوم المحدد الذى تعنيه عند المحدثين وإنما يجد لها معانى تقترب أحيانا من هذا المفهوم وتبتعد عنه احياناً أخرى. (فابن المقفع مثلا كتب فى القرن الثانى للهجرة « الأدب الصغير » (٢) و الأدب الكبير » (٣) ، واستخدامه للفظة « أدب » فى هذين الكتابين يتصل فى معناه بالجانب الأخلاقى .. أى أنه قريب من المعنى الذى يشير اليه ابن منظور والمتمثل فى دعوة الناس إلى المحامد ومكارم الأخلاق ونهيهم عن المقابح .

اما ابن قتيبة فى القرن الثالث للهجرة والذى من آثاره كتاب « أدب الكاتب » (٤) فهو يستخدم ، لفظة « أدب » استخداما يبعدها عن المعنى الأخلاقى ويجعلها ألصق باللغة وأساليبها والكتابة وفنونها. بيد أن استخدام ابن قتيبة للفظة أدب هو استخدام واسع يكاد يشمل جميع ضروب الكتابة ولا يقتصر على الكتابة الابداعية فقط. ومثل هذا المعنى الواسع للفظة نلمسه فى معظم كتب التراث. (لمزيد من التفاصيل حول لفظة « أدب » وتطور معانيها واستخداماتها نحيل القارىء إلى مادة « أدب » والمراجع المثبتة هناك) .

وفيما يتعلق بمادة بحثنا الأساسية وهى « آداب إسلامية » ،فنستطيع فى ضوء ماسقناه آنفاً أن نميز ثلاثة معان لهذا المصطلح. ويتصل أول هذه المعانى بالمدلول الأخلاقى للفظه « أدب » ،ووفقا لهذا المعنى يكون تعبير « آداب إسلامية » مرادفاً لقولنا « أخلاق اسلامية » ونقصد بذلك أساليب وأنماط السلوك والمعاملة التى جاء بها الاسلام وأمر المسلمين باتباعها وتمثلها فى جميع تصرفاتهم ومعاملاتهم .

واهم مصادرنا لهذه الآداب الاسلامية القرآن الكريم والسنة النبوية ، بالاضافة الى ما استنبطه المفسرون والفقهاء من هذين المصدرين .

أما المعنى الثانى لمصطلحنا « آداب اسلامية » فيفهم منه الدلالة على مختلف الوان التعبير الفنى التى نشأت فى ظل الاسلام أو متأثرة به ، وما اتصل بها من علوم نقدية وبلاغية . ويفترض وفقاً لهذا المفهوم أن يكون هناك « أدب اسلامى » يجمع على « آداب اسلامية » ، وأن يكون لهذا الأدب سمات خاصة تميزه عن غيره من الآداب . فنحن مثلا عندما نتحدث عن « العمارة الاسلامية » نقصد لونا متميزاً من الوان المعمار له سماته الفنية الخاصة به . كما أننا أيضاً عندما نتحدث عن بعض العلوم أو المعارف بأنها « علوم » أو « معارف » إسلامية نقصد بأن لها من الخصائص والصفات مايميزها عن غيرها من العلوم والمعارف ، فعلم الكلام مثلا هو علم اسلامى باعتباره يتناول قضايا تتعلق فى مجموعها بالعقائد الاسلامية والدفاع عنها باستخدام الأساليب المنطقية فى دحض دعاوى الخصوم . وعلوم التفسير والفقه والحديث هى علوم « اسلامية لأنها تعالج موضوعات اسلامية بحتة .

والسؤال الذى يثار بخصوص مادة بحثنا هو: هل هناك ألوان من التعبير الفنى والابداعى تتميز بملامح خاصة تجعل منها فى مجموعها « أدباً » اسلامياً أو « آداباً » اسلامية ؟

لانستطيع هنا ان نقدم اجابة عن هذا السؤال بل نكتفى بإثارته كموضوع للبحث والتقصى ، بيد أنه تجدر الاشارة إلى أن كثيراً من الفنون الأدبية النقدية عند العرب قد نشأ فى ضوء اعتبارات اسلامية ، فالبلاغة العربية مثلا نشأت نشأة وثيقة الصلة بقضية الاعجاز فى القرآن الكريم وتلمس أوجه هذا الاعجاز عن طريق محاولة فهم خصائص اللغة العربية البيانية والأسلوبية .

ويمكن ان يفهم تعبير « آداب اسلامية » فى معناه الثالث على أنه مدلول يشير إلى آداب الأمم التى اعتنقت الاسلام ، وفى ضوء هذا المدلول يصح ان توصف الآداب العربية والهندية والفارسية والتركية وغيرها من آداب الأمم الاسلامية بأنها « آداب اسلامية » . ولاشك أن هذه الآداب قد تأثرت جميعها تأثرا عميقا بالاسلام، والدارس للشعر العربى مثلا يمكنه ان يلمس آثار هذا التأثير بمقارنة نصوص الشعر العربى قبل الاسلام وبعده ، كما يلمسه فى تطور الأغراض الأدبية عند العرب بعد ظهور الاسلام ونشوء علوم النقد والبلاغة. ولاشك أن تأثيرات مماثلة قد شهدتها آداب الامم التى اعتنقت الاسلام . وأن هذه التأثيرات مستمرة الى عصرنا الحاضر ونحن نجد الروح

الاسلامية تسرى فى شعر الشاعر الباكستانى الكبير محمد اقبال وغيره من شعراء الهند والباكستان وايران . (٥)

ويجد القارىء بحوثا مفصلة عن تأثيرات الاسلام فى آداب الامم الاسلامية كالأدب العربى والفارسى والتركى والهندى وغيرها برجوعه الى المواد « أدب عربى » ، « أدب فارسى » ، « أدب تركى » وهكذا .

مراجع البحث :

١ ـ لسان العرب لابن منظور ـ جمال الدين محمد ـ المجلد الأول ـ دار صادر ـ بيروت .

٢ ـ الأدب الصغير لابن المقفع ـ عبدالله منشورات مكتبة البيان ـ دار القاموس الحديث ـ بيروت (المجموعة الكاملة) ـ طبعة ١٩٧٠ م .

٣ ـ الأدب الكبير لابن المقفع ـ عبدالله، منشورات مكتبة البيان ـ دار القاموس الحديث ـ بيروت (المجموعة الكاملة) ـ طبعة ١٩٧٠ م .

٤ ـ أدب الكاتب لابن قتيبة ـ ابى محمد عبدالله بن مسلم ـ طبعة القاهرة ١٣٤٦ هـ .

د ـ تاريخ الأدب الفارسى ـ د . رضا زادة ، ترجمة الدكتور محمد موسى هنداوى ـ نشر دار الفكر العربى .

مراجع عامة

أ- مراجع عربية

١ ـ الباقلانى ـ اعجاز القرآن ـ تحقيق أحمد صقر ـ دار المعارف .

٢ ـ الجرجانى ـ عبدالقاهر ـ دلائل الاعجاز ـ الطبعة الرابعة ـ دار المنار ١٣٦٧ هـ .

٣ ـ بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربى ـ ترجمة د.عبدالحليم النجار ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٦٨ م .

٤ ـ د . طه حسين ـ من حديث الشعر والنثر ، مطبعة الصاوى بالقاهرة .

٥ ـ د . شوقى ضيف ـ تاريخ الأدب العربى (العصر الاسلامى) الطبعة السادسة ـ دار المعارف بمصر .

٦ ـ احمد اسماعيل الندوى ـ تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ـ الطبعة الأولى ـ بيروت .

٧ ـ د . أحمد شلبى ـ موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٧ م ـ مصر .

٨ـ اشرف غربال ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ دار القلم ـ القاهرة ـ ١٩٦٥ م .

ب ـ مراجع اجنبية

Encyclopaedia Britannica .
Volume 9 , 15 th Edition .